المحاضرة رقم 09 الأنثروبولوجيا الاقتصادية ودراسة التباين بين النظم الاقتصادية للمجتمعات

إن المتتبع لجملة المؤلفات والدراسات والبحوث التي أجراها علماء الأنثروبولوجيا الاقتصادية يتبين له المجال والموضوعات البحثية التي تشتغل عليها الأنثروبولوجيا الاقتصادية أو علم الإنسان الاقتصادي، فقد كانت جملة من المسائل والإشكاليات قد أبرزت محددات القضايا العلمية والبحثية للباحثين والعلماء، هذه القضايا العلمية بتعددها وتتبع دراستها عبر التطور الزمني، ومن خلال مجتمعات وثقافات متباينة، هي التي صنعت لا حقا المجال البحثي للأنثروبولوجيا الاقتصادية.

ومن خلال هذا المقرر الدراسي التكويني لا يمكننا تتبع وسرد كل الموضوعات والمسائل التي لفتت انتباه علماء هذا الفرع، بل سنركز على بعض الموضوعات الهامة التي كان تأثيرها ايجابيا في إثراء النظرية في علم الإنسان الاقتصادي، ونظرية التنظيم، وتماشيا كذلك مع المستوى الدراسي للطلاب المعنيين بالتكوين في هذه المرحلة. سنسرد الموضوعات البحثية وفق البعد الزمني من النشأة مرورا بفترة النقاشات الحادة، ثم المرحلة المعاصرة التي نحياها وسؤال المصير الذي طرحته الأنثروبولوجيا الاقتصادية.

أولا: دراسة التباين بين النظم الاقتصادية للمجتمعات

يعد هذا الموضوع من أبرز الموضوعات في المجال البحثي للأنثروبولوجيا الاقتصادية، حيث يتم تحديد الاختلافات والفروقات بين ميكانيزمات الحياة الاقتصادية، في المجتمعات البشرية بداية من الحياة الأولى البسيطة التي كان يحياها الانسان، مرورا بالمجتمعات الريفية، وصولا إلى اقتصاديات المجتمعات الحديثة. مع التركيز على المتشابه والمختلف. وكمثال على التباينات بين معطى الحياة الاقتصادية داخل المجتمعات، نجد أن المجتمعات البسيطة والريفية غالبا ما تقوم حياتها الاقتصادية على المبادلات أو المقايضات بين أفرادها للسلع، وغالبا ما تقوم المعاملات بطريقة عرفية قائمة على مبدأ الثقة، كما يتميز النظام الاقتصادي بالثبات "

الأستاتيكا" أن لم نقل الجمود، كما يؤدي وظيفة ضمان الاعاشة الضرورية للأفراد دون الاهتمام بزيادة رأس المال، عكس ما نراه اليوم في المجتمعات الصناعية حيث يسود السوق بمعناه الاقتصادي المحض ويتم اعتماد النقد في الشراء كما يتم الاعتماد على التعاقدات الموثقة بدلا من العمليات العرفية القائمة على الثقة في مراحل سابقة.

وكانت معالجة ودراسة فيرث لخصائص المجتمع الريفي:" **والمقصود هنا ليس الريفي الزراعي فحسب، وإنما الريفي البائع، والريفي الحرفي والريفي التاجر أيضا**" قد قادته إلى دراسة الخصائص المقابلة لها في المجتمع الصناعي الحديث حيث قال:" في هذا المجتمع يزداد وزن الفردية أو العبد الفردي وعدم التشخيص" **Impersonality**" في الأمور الاقتصادية، حيث أن وظيفة أحد عوامل الطاقة الإنتاجية كصاحب رأس المال" الممول" أو صاحب قدرة تنظيمية هي التي تحظى بالدرجة الأولى في الأهمية، وكذلك قدرته المهنية أو الصناعية وليست المزايا الاجتماعية الكلية... الفرد هنا كعامل إنتاج هو موضع لتبادل دائم ويحدد مركزه القدر الذي يسهم به في العملية الاقتصادية ولا يعبر عن مركزه أو وضعه الاجتماعي، والعكس في المجتمعات ما قبل الصناعية فالفرد مشخص كعامل من عوامل الإنتاج وليس مجرد فرد بلا مضمون، ويحصل على مركزه الاقتصادي كنتاج لمركزه الاجتماعي" [1]

كما قدم **مانـج ناش** الفروق بين المجتمعات بطريقة أخرى حيث تناولها في ضوء ما أسماه بنموذج الأبعاد الأربعة" **A four dimensional model"** وقد استخدم نفس الفروق التي أبرزها فيرث وهيرسكوفيتز ودالتون... وقد يساعد هذا النموذج في عملية التصنيف، كما أنه يمكن من فهم كل من صيغة:" **Form"** وعمل" **Fonction"** ومن أبرز النقاط التي اعتمدها ناش في إبراز الفروقات:[2]

[1] - عبد الله عبد الغني غانم:"النظرية في علم الإنسان الاقتصادي،

[2] - عبد الله عبد الغني غانم:"النظرية في علم الإنسان الاقتصادي،

أ- **التكنولوجيا وتقسيم العمل:** وهنا يذكر هيرسكوفيتس أن المجتمعات غير النقدية وغير الآلية" **non pecuniary , non machine** "فالمعدات بسيطة والخطوات الوسيطة بين استعمال المواد الخام وإنتاج السلع قليلة وبسيطة.

ب- **النسق ووسيط التبادل:** في الاقتصاديات ما قبل الصناعية نجد أن الحساب الدقيق للتكاليف شيء مستحيل أو أن القيام بحساب التكلفة الدقيقة شيء غير ملائم في هذه المجتمعات، والمزايا التي يتم الحصول عليها يتم تحديدها من خلال المنطق الذي يصنعه البناء الاجتماعي.

ت- **ضبط الثروة ورأس المال:** غالبا ما تكون السلع في المجتمعات ما قبل الصناعية هي الأرض والرجال والأدوات والآلات والمواشي والجرارات، والتحسينات التي تتم في الموارد الإنتاجية يتم التحكم فيها بطريقة تشتق عادة من العرف أو التقاليد، والعكس تماما في المجتمعات الصناعية المعاصرة.